المتعة الجادة

سيمور بابرت

نُشر هذه المقال في صحيفة Bangor Daily News بعنوان "كيف نجعل الكتابة متعةً جادة."

Papert, S. (2002). How to make writing 'hard fun'. Bangor Daily News.

ترجمة: عبد الرحمن يوسف إدلبي

تعرضت لانتقاد شديد ممن يقرأ هذا العمود (والأشياء الأخرى التي أكتبها) بدعوى أن ما أكتبه يدعو إلى التخلص من الانضباط والعمل الجاد في التعلم. أنا لا ألومهم. أنا كثير النقد للأشكال التي ترغم بها المدارس التقليدية الأطفال على التعلم، ومعظم محاولات تقديم مناهج أكثر تفاعليةً وأقل قمعًا ينتهي بها الأمر حقيقةً إلى تفريغ التعلم من محتواه. لكن ليس من الإنصاف أن يجعلني ذلك مذنبًا بالتبعية. لقد كرست حياتي المهنية في التعليم كلها لإيجاد أشكال من العمل تسخر شغف المتعلم لصالح العمل الجاد اللازم للتمكن من المواد الصعبة وامتلاك عادات ضبط النفس. لكن ليس من السهل إيجاد اللغة المناسبة لشرح الكيفية التي أرى أني أختلف بها عن المنهجيات التعليمية "المفرطة في اللطف والحساسية والمرح".

في منتصف الثمانينات أعطاني طفل في الصف الأول تلميحًا لغويًا يساعدني. كانت أكاديمية غاردنر (وهي مدرسة ابتدائية في حي محروم في سان خوسيه في ولاية كاليفورنيا) واحدةً من أولى المدارس التي امتلكت ما يكفي من الحواسيب ليمضي الطلاب وقتًا كبيرًا في استخدامها كل يوم. كانت مقدمة استخدامها للطلاب في كل الصفوف تعلم البرمجة باستخدام لغة اسمها لوغو Logo وفق مستوىً مناسب. سمع معلم طفلًا يستخدم هذه الكلمات لوصف عمله على الحاسوب: "إنها ممتعة. إنها شاقة. إنها لوغو." لا شك عندي أن ذاك الطفل دعا العمل ممتعًا لكونه شاقًا وليس على الرغم من كونه شاقًا.

بمجرد تنبهي لمفهوم "المتعة الجادة" أخذت أصغي السمع إليه وسمعته مرارًا وتكرارًا. يعبر عنه بكثير من الأشكال المختلفة، والتي تؤدي كلها إلى نتيجة مؤداها أن الجميع يحبون أن يعملوا على أمور صعبة مثيرة للتحدي، ولكن ينبغي أن تكون مناسبةً من حيث كونها متسقةً والمرءَ وثقافةَ العصر. هذا العصر سريع التغير يتحدى المربين في إيجاد مساحات من العمل تكون صعبةً بالشكل المناسب: عليها أن ترتبط بالأطفال وكذلك بمساحات المعرفة والمهارات (ولا ننسى) الأخلاق التي سيحتاجها الكبار في عالم المستقبل.

كنت قد كتبت هنا عن المراهقين في إصلاحية مين للأحداث وتغلبهم على نفورهم الثابت من أي شكل من أشكال التعلم المدرسي من خلال إتاحة الفرصة لهم لابتكار وبناء تجهيزات ميكانيكية/روبوتية معقدة. يتطلب فعل هذا الأمر تركيزًا وانضباطًا، ويتطلب تعلم التعامل مع الحالات التي لا تسير فيها الأمور كما ينبغي من خلال اكتشاف كيفية إصلاح المشكلة بدل الإحباط والاستسلام لذلك. وبالنسبة لبعض هؤلاء الأطفال فقد عنى الأمر أن يتذوقوا للمرة الأولى بهجة الكتابة لأنهم شُجِّعوا على الكتابة عن أمور كانوا يقومون بها بأنفسهم ويفعلونها بشغف.

عبارة "بهجة الكتابة" تجعلني أتمهل عندها. في هذه اللحظة تحديدًا ليست الكتابة مبهجةً تمامًا. دقات الساعة التي تخبرني بأن موعد التسليم يقترب تصيبني بالتوتر. يلسعني ألم الاضطرار إلى مسح فقرة كاملة لأنها "لم تكن لتصلح،" وذلك رغم

احتوائها عبارةً أغرمت بها. لذلك لعل كلمة "بهجة" ليست الكلمة الصحيحة. وليست "المتعة" أيضًا. نحتاج كلمةً أفضل لوصفها، ولعل ذاك الطفل من الصف الأول في سان خوسيه قد أعطى الوصف الأفضل. إننا نتحدث هنا عن نوع خاص من المتعة... "المتعة الجادة."

كيف نجعل الكتابة متعةً جادة؟ أحد سبل ذلك هو أن نطور للأطفال نشاطات "قابلةً للكتابة" يحبون القيام بها. إن بناء الأجهزة الروبوتية يكتسب صفة "القابلية للكتابة" لأنه يفسح المجال لوصف مراحل البناء خطوةً خطوة. كما أن قابليته للكتابة تتعزز باستخدام معالجات النصوص وآلات التصوير الرقمية. ولكن إذا تجاوزنا التقنية فهناك الموقف الكامن في ثقافة التعلم. مثال عما أعنيه خرج من معلم اعترض على فكرة السماح للأطفال بالكتابة عما يحبون قائلًا: "عندما يذهبون إلى العمل سيكون عليهم القيام بما يؤمرون به." وهنا يكمن مصدر إخفاق الكثير من الأطفال في القراءة. علينا بالطبع أن نعلم الأطفال مهارة التحكم بالنفس التي يحتاجونها لتنفيذ الأوامر، ولكن خلط تعلم تلك المهارة بتعلم الكتابة لن يؤدي إلا إلى إحباط كلا الغرضين.